الطبيب النفسي وبيكاسو!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

أنا أرسم الأشياء كما أتصورها لا كما أراها

كنت في صباي من المولعين بالرسام بابلو بيكاسو، فقرأت الكثير عنه وعن لوحاته وما يقوم به من أعمال فنية.

وكنت أحسبه كبيرا في كل شيئ ومعبرا في رسوماته عن قدرة فنية فذة.

وقد إطلعت على ما أنتجه في صور المجلات والكتب ، ولم أكن مباشرةً أمام أعماله.

ومرت الأعوام وتدحرجت الأيام وأنا أنتقل بينه وبين العديد من الفنانين حتى إنتهيت بسلفادور دالي ومدرسته السريالية في الرسم ، وبعدها تهت في أرض الله الواسعة وتاهت معي أشيائي وإهتماماتي.

وذات مرة كنت في اليابان وبينما نحن عائدين من زيارة أحد المعابد قال لي صاحبي هل يعجبك زيارة منتزه (ساكسفوجي) للفن إنه فريد؟

قلت: نعم

فتوقفنا عند بوابة المنتزه وقطعنا تذكرة الدخول ، بينما المطر يهطل بغزارة ، فحملنا مظلة يابانية بيضاء ، أخذناها من مجمع مظلات في مشجب لاستخدام الزائرين.

وكان المنتزه جميلا برغم المطر ، وكأنه لوحة فنية مرسومة فوق التراب ، وهذه عادة اليابانيين في العناية بالحدائق والمنتزهات , وفيه العديد من الأعمال الخلابة والنصب والتماثيل لأشهر فنانين العالم ، حيث إشتراها أثرياء اليابان وعملوا بها معرضا أو متحفا للفن العالمي في الهواء.

وبعد جولة تجاوزت الساعة، وأنا أشاهد الأعمال الفنية الرائعة المذيلة بأسماء أصحابها، حاولت أن أجد عملا واحدا لفنان عربي فلم أعثر على ذلك ، وتمنيت ونفسي لو أن الفنانين العرب يهدون عملا فنيا لهذا المعرض الجميل.

وبعد أن تجاوزت التماثيل والنصب قرأت علامة تشير إلى معرض لبيكاسو، فسألت صاحبي عنها فقال: نعم أن له معرضا في هذا المنتزه ، فاندهشت للمفاجأة وتحفزت ذاكرتي ، فقلت دعنا نزوره ، وذهبنا والمطر لازال يهطل ، حتى إنتهينا إلى قاعة كبيرة مكتوب على جدارها الخارجي بيكاسو بالإنكليزية ويوجد عدد من صوره الكبيرة كذلك.

وعند بوابة القاعة وضعت المظلة في المشجب ، وأنا أقول لصاحبي: كيف امتلكتم بيكاسو؟ قال :إن أثرياءنا قد إشتروا لوحاته وأعماله ، وله معرض آخر في طوكيو أيضا.

وأنا أمام نصبٍ له عند المدخل ، راحت ذاكرتي تنعشني بالكثير من المعلومات عنه وعن أعماله.

وكانت القاعة ذات طابقين الأرضي للوحات والثاني للأعمال النحتية والخزفية وغيرها.

وبلا تفكير مني ، فتحت حقيبتي اليدوية وأخرجت دفتر ملاحظاتي وقلمي ، وأخذت أتأمل اللوحات وأكتب ما تجلبه من أفكار وتصورات في رأسي.

ومضيت على هذا المنوال بعض الوقت ، حتى شعرت بأن أحدهم يقف خلفي ، فانتبهت واستفقت من

كنت في صباي من المولعين بالرسام بابلو بيكاسو، فقرأت الكثير عنه وعن لوحاته وما يقوم به من أعمال فنية.
وكنت أحسبه كبيرا في كل شيئ ومعبرا في رسوماته عن قدرة فنية فذة.

وذات مرة كنت في اليابان وبينما نحن عائدين من زيارة أحد المعابد قال لي صاحبي هل يعجبك زيارة منتزه (ساكسفوجي) للفن إنه فريد؟

وكان المنتزه جميلا برغم المطر ، وكأنه لوحة فنية مرسومة فوق التراب ، وهذه عادة اليابانيين في العناية بالحدائق والمنتزهات , وفيه العديد من الأعمال الخلابة والنصب والتماثيل لأشهر فنانين العالم ، حيث إشتراها أثرياء اليابان وعملوا بها معرضا أو متحفا للفن العالمي في الهواء.

وبعد جولة تجاوزت الساعة، وأنا أشاهد الأعمال الفنية الرائعة المذيلة بأسماء أصحابها، حاولت أن أجد عملا واحدا لفنان عربي فلم أعثر على ذلك ، وتمنيت ونفسي لو أن الفنانين العرب

تركيزي وتأملي ، وإذا بها شرطية أمن يابانية ، فاضطربت قليلا ، لكني تداركت نفسي وقلت بالإنكليزية : عفوا ، هل هناك شيئ غير صحيح؟ يبدو أنكِ تتابعين خطواتي؟

وانتظرت جوابها ، فمن الصعب أن تجد شخصا يفهم الإنكليزية في اليابان ، لكنها أجابت بإنكليزية مفهومة.

وقالت : نعم أنا أتابعك؟

قلت : لماذا؟

قالت: كاميراتنا رصدتك

قلت : وماذا تقصدين؟

قالت : أنت تكتب أمام اللوحات؟...وعلمت بأنك تكتب بلغة غريبة؟

قلت: إنها العربية

قالت: وماذا تكتب؟

قلت: أكتب إنطباعاتي عن اللوحات التي أشاهدها حسبتها ستأخذ الدفتر من يدي ، لكنها قالت: التصوير ممنوع.

وكانت كاميرتي معلقة في عنقي ، فخشيت عليها منها.

وحدقت بوجهي مستفهمةً ومتوجسةً.

فقلت: لم ألتقط صورا ، وأنا أقول لنفسي : لكنهم قد شكوا بكاميرتي

قالت: كأميراتنا تترصد... وأضافت: أنت تكتب

قلت: نعم وهل تريدين أن أقرأ لكِ ما كتبت عن هذه اللوحة؟

قالت: تفضل ، فقلت لها بعض الكلمات عن اللوحة التي أمامي

قالت: هل أنت صحفي

قلت: لا، لكني أحاول أن أكتب بعض الكلمات عن أعماله...

قالت: حسنا...

وهي تتفرسني بنظراتها وتستفهم عن أشياء لا أعرفها

قلت: معذرةً إن كنت قد تسببت ببعض الإحراج

قالت: ممنوع التصوير أما الكتابة ....فممكنة!!

وابتعدت عني وهي تحذرني بنظراتها التي قالت أكثر من قولها ، وفهمت منها بأن ما أقوم به ممنوع , فأغلقت دفتري ووضعته في حقيبتي وأخفيت كاميرتي ، أمام رصد الكاميرات طبعا ، والتي بالتأكيد صورت ما كتبته وترجمته إلى اليابانية حالا ، بعد أن عرفوا اللغة التي أكتب بها.

وعدت اليوم إلى ما كتبته ، ولا أخفيكم وأنا أتجول في المعرض خصوصا الطابق الثاني ، أن الأعمال لم تكن ذات تأثير كبير ، لكنها لبيكاسو ولا يمكنها إلا أن تكون غالية وتعرض تحت حراسة مشددة.

فربما يكون هذا الشعور بسبب ما رسمته عنه في ذاكرتي من صور خيالية كما كنت أتصوره أيام الصبا.

وهذه بعض لوحاته التي كتبت عنها تحت مراقبة الكاميرات ومتابعة شرطية الأمن لي.

Cat and the Lobster 1962 ،A man wearing stripe shirt 1956 ،The artist and his models.

هنا تظهر غرابة الرسم عندما تتحول اللوحة إلى عبث كبير، وحينما يفقد البشر جميع أجزائه وهو يريد أن يضع القميص على جسمه ، إنها توحي بالضياع وبالخراب والدمار.

وفي لوحة أخرى بالحبر الأحمر على الورق يفقد الإنسان رأسه ، وتتكلم الشفتان والأنف والعينان ، أما العقل فيكون

يعدون عملا فنيا لهذا المعرض الجميل.

وبعد أن تجاوزت التماثيل والنصب قرأت علامة تشير إلى معرض لبيكاسو، فسألت صاحبي عنها فقال: نعم أن له معرضا في هذا المتنزه

ولا أخفيكم وأنا أتجول في المعرض خصوصا الطابق الثاني ، أن الأعمال لم تكن ذات تأثير كبير ، لكنها لبيكاسو ولا يمكنها إلا أن تكون غالية وتعرض تحت حراسة مشددة.

هنا تظهر غرابة الرسم عندما تتحول اللوحة إلى عبث كبير، وحينما يفقد البشر جميع أجزائه وهو يريد أن يضع القميص على جسمه ، إنها توحي بالضياع وبالخراب والدمار.

وفي لوحة أخرى بالحبر الأحمر على الورق يفقد الإنسان رأسه ، وتتكلم الشفتان والأنف والعينان ، أما العقل فيكون في وادي الضياع.

ولوحة Deux Tetes تشرح كيف يتفتت الإنسان وتضيع معالم وجوده وتصبح عليه عواصف الحيرة والعذاب.

وفي لوحة Homme Assis ، 26/12/1960 ينشطر الإنسان ويتمزق ولا يعرف نفسه وكيانه وحركة يديه ، لأن عقله قد سلب منه.

أما لوحة Etching 1970

العقل فيكون في وادي الضياع.

ولوحة Deux Tetes تشرح كيف يتفتت الإنسان وتضيع معالم وجوده وتهب عليه عواصف الحيرة والعذاب.

وفي لوحةHomme Assis ، 26/12/1960ينشطر الإنسان ويتمزق ولا يعرف نفسه وكيانه وحركة يديه ، لأن عقله قد سلب منه.

أما لوحة Etching 1970 ففيها ينفلق الإنسان ويكون قلبه كالخنجر الذي يريد أن يفتك بجرح الوجود الدامي ، والذي لا تطفئ ثورته أثداء حواء المستسلمة للذة والبقاء.

وفي ذات اللوحة عندما تتطور يحترق البشر ويدخل البدن بالبدن ليحقق لذة الفناء ، وينمحي كل شيئ ويبقى الذوبان سنة الحياة الكبرى وأعظم لذاتها الذوبان في التراب.

وعند لوحةDejacquelin 1963 تتمزق أوراق الفتنة وتتعجب النساء من مسيرة الحياة.

كما في لوحة Alancendo Auntoro حيث الحياة عبارة عن صراع ثيران ودماء نازفة.

ولوحة Ltallene 1917 تتحدث عن تداعيات البشر في البشر وتداخلات أفكاره وتصوراته ، حيث تختلط الألوان الأزرق ، الأحمر ، الأصفر، الأخضر ، والبرتقالي.

ويطلّق البشر شكله وينقلب إلى حقيقة وجوده حيث طباع الوحوش الكواسر.

ويبرز الجنس معبئا بالموسيقى ليوقظ البشر الفاني ويمزق أركان صمته ووحشيته.

والأرض تعزف أو الشيطان يعزف والبشر يرقص ويرينا الأعاجيب على أنغام الشيطان.

أما لوحة Dans sur la plag 26/8/1946 فيبدو فيها الجنس سيد الحياة وأعلام الوجود ثلاثة اثنان منفرجان وواحد منتصب.

بينما لوحة Aucirque 1905 تؤكد أن القوة والجنس أصل الحياة.

وعند لوحة Two heads of women انتبهت لشرطية الأمن فتوقفت عن الكلام.

والخلاصة التي خرجت بها من المعرض أن بيكاسو قد غاص في أعماقنا وصبها بالألوان فوق لوحاته , التي نطقت بصراحة وقوة وتحدي وعبثية مطلقة ، فعرفت عقل الرجل وحقيقة مواقفه ومعاني فنه ، وكيف أنه يحاول أن يمزق قناع الوجه الآدمي ويظهر ما تحته.

وأدركت أن الفنان الحقيقي هو الذي يعبّر عمّا فينا فيرسمه ولا يرسمنا.

ففيها ينفلق الإنسان ويكون قلبه كالخنجر الذي يريد أن يفتك بجرح الوجود الدامي ، والذي لا تطفئ ثورته أثداء حواء المستسلمة للذة والبقاء.

ولوحة Ltallene 1917 تتحدث عن تداعيات البشر في البشر وتداخلات أفكاره وتصوراته ، حيث تختلط الألوان الأزرق ، الأحمر ، الأصفر، الأخضر ، والبرتقالي.

والخلاصة التي خرجت بها من المعرض أن بيكاسو قد غاص في أعماقنا وصبها بالألوان فوق لوحاته , التي نطقت بصراحة وقوة وتحدي وعبثية مطلقة

عرفت عقل الرجل وحقيقة مواقفه ومعاني فنه ، وكيف أنه يحاول أن يمزق قناع الوجه الآدمي ويظهر ما تحته.
وأدركت أن الفنان الحقيقي هو الذي يعبّر عمّا فينا فيرسمه ولا يرسمنا.

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Samarai-ThePsychiatrist&Picasso.pdf

روابط ذات صلة

****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 21على الويب

24 عاما من الكدح... 21 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf